

## موقف المترفين من دعوة الرسل

حسين جابر بني خالد

المشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين،

جامعة اليرموك، إربد، الأردن

(قدم للنشر في 1421/6/26هـ؛ وقبل للنشر في 1421/10/20هـ)

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم المترفين في اللغة واصطلاح العلماء، ومعرفة آثار هذه الفئة على أفراد المجتمع، وإلقاء الضوء على أساليب المترفين في وقوفهم ومعاندتهم لدعوة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، ثم معرفة الأسباب التي جعلتهم يقفون هذا الموقف السلبي، ومعرفة النتيجة التي ينتهي إليها مصيرهم في الدنيا والآخرة.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن البشرية تسعى جاهدة لتعيش حياة آمنة مطمئنة، وتأبى طائفة منهم إلا أن تعيش لنفسها فقط، فهي تغرق نفسها في الشهوات والملذات، فتحوّل حياة الذين يعيشون معهم إلى ظلم وقتل وسلب ونهب، فتنشأ في مثل هذه المجتمعات الخصال القبيحة، وينتشر فيها الفساد، فتكون النهاية المؤلمة للجميع هي التدمير.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن هذه الطائفة هم معظم المترفين، وهم الذين يقفون من دعوة الرسل عليهم السلام موقف الرفض

والعداوة، وأن هذا الموقف يتكرر من أمثالهم في المجتمعات في كل زمان ومكان، فهم من أكبر المعاندين للرسول، والمحرضين لعامة الناس للوقوف في وجه الرسول ودعوتهم، وإلحاق الأذى بهم وبأتباعهم من تعذيب وقتل وتشريد، على الرغم من أن الرسول وأتباعهم يحملون لهؤلاء كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

لذلك جاءت هذه الدراسة لبحث موقف المترفين من دعوة الرسول مكونة من تمهيد وخمسة مباحث.

وأما التمهيد فقد بينتُ فيه مفهوم المترف لغةً، وذكرت الشواهد على هذا المفهوم من القرآن، وبينتُ أنّ معنى المترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، وبينتُ كذلك تطابق المفهوم اللغوي مع اصطلاح العلماء للمترفين، وما يترتب على هذا المفهوم من غلظة القلب، وإفساد الفطرة، وإصرار على الباطل.

أما المبحث الأول، فقد بينتُ فيه أثر المترفين على مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، من سيطرةٍ وظلمٍ وتدمير لهذه المجتمعات، للقضاء عليها في نهاية المطاف قضاءً تاماً، وذلك لما يتمتع به المترفون من سلطة على أقوامهم، وانقيادٍ لهم، لذلك سلط الله تعالى العذاب الشديد عليهم، وهو عذاب عام شامل.

وأما المبحث الثاني، فقد بينتُ فيه موقفهم من دعوة الرسول، وهو متمثل بالرفض التام لكل ما جاءوا به، وعدم الاستجابة لدعوتهم مهما رافقها من أدلة صادقة على صحة دعوتهم، وأوردت بعض الآيات التي تحدثت عن موقفهم هذا، وأنهم - أي المترفون - يقلدون بعضهم بعضاً في كل زمان، وذلك برفضهم لدعوة الرسول عليهم السلام.

وأما المبحث الثالث، فقد بينتُ فيه الدواعي التي جعلت المترفين يقفون هذا الموقف العدائي لدعوة الرسول، وهي إغراقهم في الملذات، مما جعل ذلك حائلاً بينهم وبين الاستجابة لنداء الخير، وامتنالهم لأمر الله تعالى في سلوكهم وتصرفاتهم، والذي سيؤدي إلى تحجيم ترفهم وبذخهم، وضياع سلطانهم وسيطرتهم على مجتمعاتهم، وفقدانهم لهذه المكانة الرفيعة التي يتمتعون فيها بين شعوبهم.

وأما المبحث الرابع، فقد بيّنتُ فيه الأساليب التي اتخذها المترفون في مقاومة دعوة الرسل، وهي اتهامهم بالكذب، والسحر، والسّفه، والجنون، وأنّ ما يأتون به من آيات بيّنات هو شعر، وتهديدهم للأنبياء بالقتل أو الضرب أو الطرد، في حالة إصرارهم على دعوتهم، وقولهم بأنّ القرآن الكريم أساطير وخرافات، وخداعهم لعامة الناس بما عندهم من نعيم بأنهم مقربون إلى الله تعالى، وطلبهم من الرسل ما يقصد به التعجيز والاستهتار.

وأما المبحث الخامس، فقد بيّنتُ فيه مآل المترفين في الحياة الدنيا، من قتل على أيدي المؤمنين، واستئصالهم لهم كما حصل لقوم هود، وقوم لوط وغيرهم من الأمم المستكبرة، أو خسف بهم وبممتلكاتهم كما حصل لقارون، وأما يوم القيامة فينتظرهم عذاب أليم في نار جهنم وبئس المصير.

نتائج البحث، وقد ذكرت فيه النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفِّقت في عرض هذا الموضوع على حسب ما يسّرهُ الله تعالى لي من معلومات، وأن ينفع به المسلمين، وأن يغفر لي ما أخطأت فيه وما قدّمت وأخّرت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## التمهيد

قبل أن نبحث موقف المترفين من دعوة الرسل لا بد لنا أن نتعرف على مفهوم المترف في اللغة وكذلك مفهوم المترف عند علماء المسلمين. مفهوم المترف: ورد في قاموس اللغة أن الترففة بالضم: النعمة وسعة العيش، وأترفته النعمة وسعة العيش أي أطعته، وقيل أترفته نعمه، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَي مَا نَعْمُوا . وَتَرْفَتَهُ تَتْرِيفًا أَي أَطْرَتَهُ . وَأَتْرَفَ فُلَانٌ : أَصْرَ عَلَى الْبَغْيِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَنَعِّمُ الْمُتَوَسِّعُ فِي مَلَاذِ الدُّنْيَا وَشَهْوَاتِهَا مُتْرَفًا لِأَنَّهُ مُطْلَقٌ لَهُ لَا يَمْنَعُ مِنْ تَنَعُّمِهِ ، وَالمُتْرَفُ الْجِبَارُ وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَي جِبَارِيهَا ، وَقِيلَ أَوْلَى التَّرْفَةِ ، أَرَادَ رُؤْسَاءَهَا وَقَادَةَ الشَّرِّ مِنْهَا . وَتَتْرَفُ أَي تَنَعَّمُ وَاسْتَعْرَقَ وَطَغَى ، نَقَلَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ وَالصَّاعِقَانِيُّ [ 1 ، ج 6 ، ص 49 ، 50 ] . وَقِيلَ التَّتْرِيفُ حَسَنُ الْغِذَاءِ ، وَصَبِيٌّ مُتْرَفٌ إِذَا كَانَ مَنْعَمَ الْبَدَنِ (مدلاً) [ 2 ، ج 10 ص 360 ] .

ومن الملاحظ أن المعنى اللغوي للمترف يدور حول سعة العيش والبذخ فيه، مع وجود الرياسة والسلطة، لتمكينه من إطلاق نفسه في الشهوات، وطلب المزيد من ملاذ الدنيا، والتفنن في تحصيلها حتى تطغيه عن أمر الله والوقوف عند حدوده، كما قال تعالى: ﴿ وَرِئَاسَةً لِّمَنْ يَشَاءُ فِي الْبِلَادِ وَالْمَالِ وَالنَّسْلِ وَالْأَنْفُسِ وَالسُّلْطَانِ وَمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ فَمَا يُلَاقِ إِلَّا أَهْلَ سَعَادٍ ﴾ [ 1 ، ج 6 ، ص 49 ، 50 ] . وَتَتْرَفُ أَي تَنَعَّمُ وَاسْتَعْرَقَ وَطَغَى ، نَقَلَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ وَالصَّاعِقَانِيُّ [ 1 ، ج 6 ، ص 49 ، 50 ] . وَقِيلَ التَّتْرِيفُ حَسَنُ الْغِذَاءِ ، وَصَبِيٌّ مُتْرَفٌ إِذَا كَانَ مَنْعَمَ الْبَدَنِ (مدلاً) [ 2 ، ج 10 ص 360 ] .

ولذلك جاء وصف المترفين عند العلماء مطابقاً لما ورد في مفهوم اللغة، "فالمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين، الذين يجدون المال والخدم والراحة، فينعمون بالدعة والراحة والسيادة، حتى تترفهم نفوسهم أي تطغيهم- وترتع في الفسق والمجون، وتستتهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتنتهك الأعراض، وتعندي على الحرمات، وهم الذين ينهشون في الأمة، حتى تفقد الأمة عناصر قوتها، وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحاتها" [ 3 ، ج 15 ، ص 2217 ] .

"فإتراف النعمة للإنسان إذن إبطارها وإطغاؤها له، وذلك إشغال لنفسه حتى يغفل عما هو مطلوب منه، فيكون الإنسان بذلك مترفاً، متعلقاً بما عنده من نعم الدنيا وما يطلبه منها سواءً أكانت قليلة أم كثيرة. فالترف يغلظ القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة، فلا ترى دلائل الهداية، فتستكبر على الهدى، وتصر على الباطل، ولا تتفتح للنور" [3، ج2، ص2910].

ونظراً لما يولده الترف في نفوس أصحابه من التكبر على المجتمعات التي يعيشون فيها فلا بد لنا أن نلقي الضوء على مفهوم الكبر. فالكبر لغة بالكسر: "العظمة، وكذلك الكبرياء، وكبر الشيء بسكون الباء: معظمه. قال تعالى: ﴿...﴾ (النور: 11) [4، ج2، ص801].

والكبر اصطلاحاً: هو توهم الشخص نفسه أنه أمر عظيم فوق ما هو، وهذا هو الاختيال والخيلاء والمخيلة، وهو أن يتخيل عن نفسه ما لا حقيقة له.

والمتكبر يريد العلوّ في الأرض والفخر على الناس وإرادة الرئاسة والسلطان، حتى يبلغ به الأمر إلى مزاحمة الربوبية كفرعون، ومزاحمة النبوة.

وقد قال تعالى: ﴿...﴾ [لقمان: 18]، وقال عليه الصلاة والسلام: "الكبر بطر الحق وغمط الناس" فبطر الحق جرده ودفعه [5، ج2، ص89]؛ [6، ج2، ص346].

وأما مفهوم الرسل لغة فيقال: "أرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رُسُلٌ ورُسُلٌ. والرسول أيضاً الرسالة ومنه قول ابن كثير: لقد كذب الواشون ما بحثُ عندهم بسراً ولا أرسلتهم برسول

وقوله تعالى: ﴿...﴾ [الشعراء: 16] ولم يقل رسل رب العالمين لأنّ فعولاً وفعيلاً يستوي فيها المذكر والمؤنث والواحد والجمع، مثل عدو (وصديق) [4، ج4، ص179].





فإذا جاء وقت إهلاك القرية، فلا بد من استحقاقها للهلاك، وذلك بالفسق والخروج عن طاعة الله، فلما تعلقت إرادته تعالى بإهلاكها، تقدمه أولاً بالضرورة فسق من أصحاب الترف والتنعم، بطراً وأشراً بنعمة الله واستعمالاً لها فيما لا ينبغي، وذلك بأمر من الله وقدر منه، لشقاوة تلزم استعداداتهم، وحينئذٍ وجب إهلاكهم" [12، ج10، ص215].

"وقيل: إن معنى قوله تعالى: ﴿ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ﴾ [الإسراء:16]، أي أكثرنا مترفيها في المجتمع، أي جعلنا أكثر أفراد المجتمع من المترفين الفاسقين، فأصبحوا هم الصبغة المعروفة والمشاهدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، فاستحقوا بذلك عذاب الله تعالى بتدميرهم وإهلاكهم جميعاً" [13، ج2، ص242].

أقول: وهذا المعنى يؤكد جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، عندما سألته قائلة: أنهلك وفيها الصالحون؟ قال: "بلى إذا أكثر الخبث" [14، ج13، ص11]. والفتنة عندما تقع بقوم ليست مقتصرة على الظالمين الفاجرين منهم، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل كل أفراد المجتمع الذين يعيشون معهم، قال تعالى: ﴿ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ﴾ [الأنفال:25].

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ﴾ [الإسراء:16] "أي جعلنا المترفين أمراء ومسؤولين عن المجتمع الذي هم فيه، فعاثوا في الأرض فساداً فاستحقوا هم ومن معهم الإهلاك والتدمير" [15، ج5، ص163].

المبحث الثاني: موقف المترفين من دعوة الرسل

لقد وقف المترفون في مختلف العصور من دعوة الرسل الذين أرسلوا إليهم موقفاً واحداً، لم يتغير ولم يتبدل، وإن تغير الزمان وتبدل المكان، وهو الرفض لما جاءت به الرسل، ومناصبتهم العداوة والبغضاء. ومعظم المكذبين من الأمم هم أهل النعم وسعة العيش، قال تعالى: ﴿

﴿ المزمّل: 11﴾.

ومما ورد في القرآن الكريم عن المترفين قوله تعالى: ﴿

﴿ [سبأ: 34]. "فالله تعالى يقول مسلماً نبياً محمداً صلى الله عليه وسلم، وأمرأ له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبياً في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤها، كما حصل مع نوح وصالح عليهما السلام من قبله" [16، ج 3، ص 548].

"وكلما بعث نذير إلى قومه ينذرهم بأس الله من أن ينزل بهم على معصيتهم لله تعالى، قال كباراؤهم ورؤساؤهم في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين به، إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون" [17، ج 22، ص 66].

ويذكر الله تعالى كذلك حكاية عن المتكبرين من قوم صالح قوله

تعالى: ﴿

﴿ [الأعراف: 75، 76]. "قال هؤلاء المتكبرون للمؤمنين به من أهل المسكنة من أتباع صالح وهم دونهم في الشرف



إذا نظرنا إلى ما عليه المترفون من أحوال، فإننا نستطيع معرفة سبب هذا العداء الشديد الذي نجده بين المترفين ودعوة الرسل، ومن خلال ذلك يمكننا أن نذكر الأسباب التالية:

1- إن ما يتمتع به المترفون من سعة العيش وإغراق لأنفسهم في الملذات، غطى على عقولهم وأحاسيسهم تجاه ما يطلب منهم، فأصبحت عقولهم وجوارحهم لا تستجيب إلا لتلك الأحوال التي هم عليها، فلذلك لا يستطيعون إمعان النظر في أهمية ما جاء به الرسل، وإدراك الخير في هذه الدعوات التي تعود عليهم بالنفع العظيم في الحياة الدنيا والآخرة.

2 - معرفتهم بأن استجابتهم للرسل ستقيدهم في الإنفاق والتصرف في الأموال ضمن قواعد منضبطة حسب الأصول الشرعية التي يطالبهم بها الدين، وهذا أمر لا يقبلون به أبداً، خاصة وأنهم قد أدمنوا على هذه الأحوال التي هم عليها، فكيف يسلمون بسهولة في تركها، وتحمل فراقها بعد أمد بعيد من التعايش معها؟ وإذا فعل أحدهم فعلاً من هذه الأفعال المخالفة للشرع عوقب على ذلك، فكيف يخضع المترف نفسه لهذا النظام الذي يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة؟

3 - ما هم عليه من رئاسة وجاه وسلطان، فهم الأمرون الناهون، وإليهم يرجع الأمر كله في شؤون الذين يعيشون معهم، يقتلون ويظلمون ويسلبون، ويفعلون كل شيء يريدون فعله، دون أن يستطيع أحد أن يقول لهم لم أو كيف. فإذا اتبعوا الرسل فإن الأمر سيكون عند ذلك لله ورسوله، والناس في مجتمعهم هم الذين يقررون إن كانوا يصلحون للقيادة وولاية الأمر، وذلك حسب معايير الشرع، الذي جاء به الرسل أم لا، فهم يعلمون تمام العلم بأن القيادة وإطلاق اليد في أمور المجتمع الذي هم عليه سيتحول عنهم، ويصبحون مثلهم مثل غيرهم محاسبين أمام شرع الله الذي لا فرق في تطبيقه بين غني وفقير، وأمر ومأمور، وقوي وضعيف.

4 - إحساس المترفين بأن لهم مكانة مرموقة في المجتمع لا يصل إليها إلا من كان مثلهم، فكيف يقبلون لأنفسهم التعايش مع من أدنى منهم منزلة في الجاه والسلطان، والمال والممتلكات خاصة وأن معظم أتباع الرسل في بداية الدعوة هم من هؤلاء الضعفاء والمساكين والفقراء؟





﴿ [القمر: 25، 26]. "فهم قد رموا صالحاً عليه السلام بالكذب، وقالوا عنه بأنه متجاوز في حد الكذب، والله تعالى يهددهم ويتوعدهم بأنهم سيرون فيما بعد من هو الكذاب المتجاوز في كذبه " [16، ج4 ، ص284].

2- اتهام الرسل بالسحر فيما أتوا به من آيات بينات على صدق دعوتهم ورسالتهم، وهذا أسلوب آخر من أساليب المترفين لصرف اهتمام الناس بدعوة الرسل، والاعتقاد بأنهم سحرة، مثلهم مثل غيرهم الذين يريدون السيطرة على عقول من يسحرونهم. قال تعالى: ﴿ [ص:4]، "وهؤلاء هم سادة قريش وأساطينها، الذين تعجبوا من أن يكون الرسول منهم يعرفون نسبه وأخلاقه، وقاموا باتهامه بالسحر والكذب، من أجل صرف الناس عن قبول دعوته والتأثر بما يدعو اليه تماماً مثل قول السابقين في حق رسلمهم" [18، ج4 ، ص420].

ويبين الله تعالى لنبيه عليه السلام أن هذا الاتهام قد فعلته الأمم السابقة لقريش في رسلمهم، الذين أحل الله بهم نقمته كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقومه، ما أتى هؤلاء من نبي من الأنبياء إلا قالوا كما قالت قريش ساحر أو مجنون، ويقول تعالى ذكره: أوصى أوائلهم وآباؤهم الماضون من قبلهم قريشاً بتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام، فقبلوا ذلك منهم، قال تعالى: ﴿ [الذاريات: 52، 53] [17، ج- 27 ص7]. وكذلك قوله

تعالى: ﴿ [المدثر: 1، 2]، "نزلت هذه الآيات عندما صنع الوليد بن المغيرة طعاماً لسادة قريش، فلما أكلوا منه قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ يعني محمداً عليه الصلاة والسلام- فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم ليس بساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم ليس بكاهن، وقال





﴿ [ القمر:9] ﴾ ، (فالله تعالى يسلي  
 نبيه في هذه الآية مبيّنًا له أن هناك من كذب الرسل قبل قومه، وهم قوم نوح  
 الذين صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، وانتهروه وزجروه وتوعدوه  
 إذا لم ينته عن دعوته، فسوف يرجمونه، قال تعالى: ﴿  
 ﴿ [الشعراء:116] [16، ج4 ص282].

"ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش عرضوا عن  
 دعوته، ولم يوافقوه وقالوا للناس عنه إنه مجنون، وما يقوله هو تعليم من  
 شخص يملئ عليه هذه الأشياء، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿  
 ﴿ [الدخان:14]. ويرد الله تعالى  
 على قريش دعواهم هذه بأن محمداً عليه الصلاة والسلام مجنون بقوله:  
 ﴿ [القلم:2]. أي لست والله الحمد بمجنون كما يقوله  
 الجهلة من قومك والمكذبون بما جنتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك  
 فيه إلى الجنون" [16، ج4، ص429].

وهكذا دأب جميع الأمم الذين سبقوا قريشا، فإنهم قالوا للأنبياء الذين  
 بعثوا فيهم بأنهم سحرة ومجانين، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿  
 ﴿ [الذاريات:52]. "والذي جعل هؤلاء متشابهين في  
 مواقفهم تجاه الرسل - رغم تباعد الزمان والمكان بينهم- أنهم قوم طغاة،  
 فكانت قلوبهم متشابهة، لذلك قال متأخروهم بما قال به متقدموهم" [16،  
 ج4، ص255].

5 - اتهم الرسول بأنه شاعر: وأن ما جاء به هو من تلقاء نفسه كما يقول  
 الشعراء، وما يؤلفونه وينظمونه من الشعر للسيطرة على مشاعر الناس،  
 والاستحواذ على عقولهم، قال تعالى حكاية عن قريش في موقفهم من القرآن  
 الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿  
 ﴿ [الشعراء:116] [16، ج4، ص282].

قريش بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحي أوحى الله به إلى محمد عليه الصلاة والسلام، بل قال بعضهم هو أهاويل رؤيا رآها في المنام، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من تلقاء نفسه، وقال بعضهم بل هو شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر، فليجئنا إن كان صادقاً في قوله، إن الله بعثه رسولاً علينا، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إليه بحجة ودلالة على ما يقول ويدعي، كما جاءت به الرسل الأولون من قبله، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وكنافة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل" [17، ج-17، ص3].

ويرد الله تعالى على كفار قريش هذه الفرية على نبيه عليه السلام من أنه لا يستطيع قول الشعر ولا يتأتى من مثله، وهم يعرفون ذلك، قال تعالى: ﴿...﴾

ويرد الله تعالى على كفار قريش كذلك في آية أخرى: ﴿...﴾

والكاهن هو الذي يخمن وقوع الأشياء على ضرب معين، أو يتوقع حصولها في وقت معين، ليوهم الناس أنه يعرف ما يجري من الأحداث في شؤون حياتهم.

6 - تهديد الرسل. وذلك بالقتل أو الضرب أو الطرد من البلاد إذا ما أصروا على الاستمرار في دعوتهم، وملاحقة أتباعهم بالعذاب والقتل والتضييق، حتى يتراجعوا عن متابعتهم والإيمان بدعوتهم. "قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿...﴾





هو جمع أسطورة كأحدوثه وأحاديث، وقد روي أن قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة (من بني عبد الدار)، وأنه كان ذهب إلى بلاد فارس، وجاء منها بنسخة حديث رستم واسفنديار (كتاب قصص)، ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد بعثه الله وهو يتلو على الناس ما قصه الله من أحاديث القرون. قال: لو شئت لقلت مثل هذا، فزعم أنه مثل ما تلقفه، وكان إذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلس، جلس فيه فحدثهم من متلفاته، ثم يقول: بالله أينما أحسن قصصاً أم محمد؟ وقد أمكن الله منه في بدر فأسر وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتله، والإسناد في الآية للجميع من أن القرآن أساطير، إما لرضا الباقيين به، أو لأن قائله كبير متبع. وقد كان اللعين قاص قریش الذي يعلمهم الباطل، ويقودهم إليه ويخدعهم بهذه الجعجة" [12، ج 8، ص 44].

8- خداع المترفين لعامة الناس بما هم عليه من نعيم وجاه وسلطان وكثرة مال، بأن الله تعالى راضٍ عنهم ويحبهم، ولولا ذلك لما أعطاهم هذه الأشياء التي ليست موجودة عند الرسل وأتباعهم، وإذا كان الله تعالى راضياً عنهم في الدنيا ويحبهم، فمعنى ذلك أنهم على صواب في عبادتهم، وأنهم لم يعدبوا يوم القيامة، فحالهم في الدنيا يدل على المال المماثل يوم القيامة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿...﴾ [سبأ: 35] [18، ج 4 ص 330]. ولذلك يرد القرآن الكريم على دعواهم هذه بقوله تعالى: ﴿...﴾ [سبأ: 36].

"فالقرآن الكريم يضع للمترفين ميزان القيم كما هو عند الله، ويبين لهم أن بسط الرزق وقبضه ليس له علاقة بالقيم الثابتة الأصلية، ولا يدل على رضى وغضب من الله، ولا يمنع بذاته عذاباً ولا يدفع إلى عذاب، فقد يغدق الله الرزق على من هو غاضب عليه، كما يغدقه على من هو عليه راض. وقد يضيق الله على أهل الشر كما يضيق على أهل الخير، ولكن

العلل والغايات لا تكون واحدة في هذه الحالات. فقد يغدق الله تعالى الرزق على أهل الشر استدراجاً ليزدادوا بطراً وإفساداً فيتضاعف رصيدهم من الإثم، وقد يحرمهم فيزدادوا شراً وفسوقاً وجريمة، وجزعاً وضيقاً ويأساً من رحمة الله، وينتهوا بهذا إلى مضاعفة رصيدهم في الشر والضلال. وقد يغدق على أهل الخير ليتمكنهم من الأعمال الصالحة لتزداد حسناتهم، وقد يحرمهم ليبتلي صبرهم وإيمانهم ليزدادوا ثواباً عند الله بصبرهم" [3، ج-22، ص2910].

9 - طلب الأمور غير المعهودة من الرسل بقصد التعجيز والاستهتار، وإضاعة الوقت وتفويت الفرصة على الرسل لمتابعة دعوتهم واستماع الناس لهم، مثل طلب قريش من النبي صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، فلما حصل ذلك قالوا: سحرنا

محمد، ولم يؤمنوا. قال تعالى: ﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

الإسراء: 90-92].

ولعلّ المتمعنّ في أحوال معظم المترفين في عصرنا الحاضر، يجد أنهم يستخدمون نفس الأساليب التي استخدمها الأقدمون من أسلافهم في إعاقة الدعوة، والوقوف في وجوه الخير التي يهدف إلى تحقيقها الرسل ومن

جاء بعدهم، فهم يتهمون هؤلاء الدعاة تارة بالكذب، وأخرى بالسفه والجنون، وإذا لم تفلح هذه الأساليب فإنهم يلجأون إلى التهديد وإلحاق الأذى بالدعاة وأهلهم، إذا لم يتراجعوا عن دعوتهم، ويخدعون العامة بما لديهم من أموال وجاه وسلطان، من أن الله تعالى يحبهم ويرضى عنهم، فهو يميزهم بهذه الأمور عن غيرهم.

المبحث الخامس: مآل المترفين في الدنيا والآخرة

إن الله تعالى يملي للمترفين، ويستدرجهم من حيث لا يشعرون حتى يتمادوا في غيهم وفسادهم، ثم يأخذهم سبحانه أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ يَحْتَضِرْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴾ [مريم: 75].

"هذا أمر الله تعالى بإعلامهم أن الله سبحانه يديمهم في طغيانهم ويمهلهم في كفرهم ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ يَحْتَضِرْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴾ أي من الأسر والقتل في الدنيا، أو الدخول في النار يوم القيامة، فسيعلمون عند ذلك من الذي يكون منزلته أسوأ، أو يكون أقل نصرة هم أم المؤمنون، لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة، وهذا رد عليهم لما قيل عنهم في الآية السابقة ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ يَحْتَضِرْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴾ [20، ج3 ص207]."

ويقول تعالى كـذلك: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَهُمْ يَحْتَضِرْ يَوْمَئِذٍ أُولَئِكَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ ﴾ [المؤمنون: 54-56]. "الضمير هنا يعود لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء، وهذا الموعد إما أن يكون يوم بدر أو يوم موتهم، والآية رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنها سبب لرضا الله عنهم، ولكنهم لا يشعرون أن ذلك استدراجا لهم، ففيه معنى التهديد" [21، ج2 ص52].







## نتائج البحث

يمكن حصر النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث بالنقاط التالية:

- 1- الترف في العيش مدعاة للمعصية وإماتة للقلب وتعطيله عن التوجه للخير وقبوله.
- 2 - تأثير معظم المترفين على أقوامهم عائد لمركزهم الاجتماعي وما يمتلكونه من ثروات وسيطرة عليهم.
- 3 - اتفاق معظم المترفين في كل عصر من العصور على موقف واحد تجاه دعوة الرسل، وهو الرفض الدائم والعداء الشديد لهم ولأتباعهم.
- 4 - عدم الانخداع بالأخبار التي تروّج عن الدعاة، لأنها من أسلحة المترفين لتشويه دعوتهم، وإبعاد الناس عن الاستجابة لنداء الخير كما فعل أسلافهم بدعوة الرسل عليهم السلام.
- 5 - الترف في العيش والنعيم الواسع وحب السيطرة، هو الذي يمنع معظم المترفين من اتباع الرسل لأنهم سيحكمون في كل شيء في حياتهم بشرع الله، وهذا سيجعلهم يفقدون السيطرة على مجتمعاتهم وإطلاق اليد في كل شيء يريدون فعله.
- 6 - خطر معظم المترفين على المجتمعات التي يعيشون فيها لأنهم سيكونون سبباً في تدميرها وسخط الله تعالى عليهم.
- 7 - المصير الذي ينتظر الذين وقفوا في وجه الدعوة من المترفين يوم القيامة وهو العذاب الشديد في نار جهنم.

## المراجع

- [1] الزبيدي، محمد مرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط1. القاهرة: المطبعة الخيرية، 1306هـ.
- [2] ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. *لسان العرب*. القاهرة: الدار المصرية، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مصر .
- [3] قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. ط10. بيروت: دار الشروق، 1982م.
- [4] الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح*. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط2. بيروت: دن، 1402هـ.
- [5] النووي، يحيى بن أشرف. *صحيح مسلم بشرح النووي*. ط2. القاهرة: المطبعة المصرية، 1392هـ.
- [6] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. *دقائق التفسير*. تحقيق محمد السيد. ط2. دمشق: مؤسسة علوم القرآن، 1404هـ.
- [7] الميداني، عبد الرحمن. *العقيدة الإسلامية وأسسها*. ط6. دمشق: دار القلم، 1412هـ.
- [8] عبد الحميد، محمد محيي الدين. *شرح ابن عقيل*. ط10. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1378هـ.
- [9] ابن عاشور، محمد الطاهر. *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.
- [10] الطبرسي، الفضل بن الحسن. *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1980م.
- [11] المراغي، أحمد مصطفى. *تفسير المراغي*. ط3. بيروت: دار الفكر، 1974م.
- [12] الفاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل. تعليق محمد عبد الباقي. ط2. بيروت: دار الفكر، 1978م.
- [13] الزمخشري، محمد بن عمر. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: الدار العالمية، د.ت.
- [14] العسقلاني، أحمد بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، 1390هـ.
- [15] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1990م.
- [16] ابن كثير، إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط1. بيروت: دار المعرفة، 1986م.
- [17] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. بيروت: دار الجيل، 1987م.
- [18] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. بيروت: دار الفكر، 1983م.
- [19] رضا، محمد رشيد. *تفسير القرآن الحكيم*. الشهير بتفسير المنار، بيروت: دار المعرفة، 1993م.
- [20] البغوي، الحسين بن مسعود. *تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل*. تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. ط2. بيروت: دار المعرفة، 1987م.

- [21] الكلبي، محمد بن أحمد بن حجر. *التسهيل لعلوم التنزيل*. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- [22] السيوطي، عبد الرحمن. *الجامع الصغير*. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1981م.
- [23] الرازي، محمد. *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. ط3. بيروت: دار الفكر، 1985م.
- [24] القنوجي، صديق بن حسن. *فتح البيان في مقاصد القرآن*. تقديم عبدالله الأنصاري. بيروت: المكتبة العصرية، 1992م.
- [25] الألوسي، محمود. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. بيروت: دار الفكر، 1987.
- [26] ابن جزري، محمد بن أحمد. *تفسير ابن جزري*. بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م.

## The Affluent People's attitude towards the Messenger's Call

Hussein Jaber Mousa Bani Khaled

Associate Professor College of Sha'ah and Islamic Studies

**Abstract .** This research aims at illustrating the concept of affluent people both linguistically and according to the scholars' definition. The research also explores the effects of this group on the members of society and sheds light on the methods affluent people use in standing obstinately in the face of the Prophets who were sent to them. Finally, the research explores the reasons behind their negative attitude and the outcome of their destiny both in this world and in the Hereafter.